Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويطمئن إليها ضميرى . وأنا لا أحسب الذين يدينون بعقيدة ما لغير شيء إلا أنهم وجدوا عليها آباءهم مؤمنين حقًّا . بل أرى واجباً على الإنسان لكرامته الإنسانية أن يحاول ما استطاع فهم مايُلْقَى إليه ، اتصل ذلك بالعقيدة أو بالتشريع أو بالعلم والفن . فإن اهتدى إلى الحق فيه فذاك ، وإلا فليلتمس الهدى عند أهل العلم وليطالبهم بإقناعه . والعالِمُ الجدير باسم العالِمِ هو من أقنع سامعه بالحقيقة التى اهتدى إليها عن طريق المجادلة بالتى هى أحسن . فلا إكراه فى الدين ، ولايمارى فى الحقيقة متى تبين الرشد من الغىّ إلا من أضلَّ هواه .

ولقد جعلت السير فى إثر الرسول غرضى من يوم أتممت مناسك الحج . فقد كنت شديد التوّق إلى هذا السير من سنوات ومذ كنت أتابع الرسول خلال الكتب أبحث فيها سيرته ، وكنت أحسب السبيل ميسرة وأنى سأجد عند كل موقف من مواقف الرسول أثراً يدل عليه ويشهد به . ولم يزعزع من ذلك فى نفسى ماعلمته من هدم الوهابيين القباب التى أقامها من حكموا الحجاز فى العصور التى سبقتهم . فالوهابيون إنما استقرّوا فيه لعشر سنوات خلت . وهذا زمن لايتيح للنسيان أن يجنى على آثار خلَّدتها أربعة عشر قرنا متعاقبة . هذا إلى أن القباب ليست كل ما يمكن أن يقام من الآثار . وإذا كنا نحتفظ فى مصر بآثار ناهضت الدهر خمسين قرناً متوالية فما أحرى المقيمين ببلاد النبى العربى أن يحتفظوا بآثاره وهى أقرب من ذلك عهداً ، وأبلغ دلالة ، وأبقى على التاريخ ذكراً . والوهابيون هم بعدُ مسلمون ؛ إن أنكروا القباب فلا ينكروا ماسواها من دواعى الذكر والأسوة .

والحق أنى لم أجد مشقة فى تعرُّف الآثار التى هدم الوهابيون قبابها . فالأسف على ما صنعوا قد جعل الذين يخالفونهم فى الرأى أشد ذكراً لها وحرصاً على إشهاد الناس ما حل بها . ولقد شاركت هؤلاء فى أسفهم من ناحية لايفكر أحدهم فيها . فقد كان بين هذه القباب التى هدمت آثار بارعة فى الفن لم يكن يجمل بيد تقدّر الفن أن تمتدّ إليها بسوء . لكنى إنما وجدت المشقة فى الاهتداء إلى آثار لها فى تاريخ المسلمين الأولين أثر بالغ ، ولاترضى أمة